

كُتُب الأَنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبدالعزيز الدوري

(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١- لا يُراد هنا بيان أهمية النسب ودوره في الحياة العربية، وتكفي الإشارة إلى أنه كان بصوره المتعددة أساسياً في حياة القبائل قبل الإسلام، وعاملاً بعيد الأثر في الحياة العامة بعد الإسلام. وإذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثر في حجم الكيانات القبلية، بتحديدتها أو بتوسيعها عن طريق المحالفات وتداخل الأَنساب، فإن الأَنساب في العصر الإسلامي أثرت في تنظيم الديوان، وفي التصدير، وفي تنظيم المقاتلة، كما أثرت (وتأثرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الإسلامية، وبالصراع على السلطة. وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحاً.

ظهرت العناية بالأَنساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الأول للهجرة، وتمثلت في مرحلتها الأولى بوجود نسابين في كل قبيلة، وبوجود كُتُب لدى القبائل بأَنسابها وأخبارها وأشعارها. ويشير الهمداني إلى وجود سجلات (زُبر) لدى عرب اليمن بأَنسابهم اطلع على بعضها (الإكليل ج ١٠ ص ٧٠ - ١ و ص ١١١).

وظهر نسابون وسَّعوا اهتمامهم إلى أكثر من قبيلة، وبدأوا بجمع أَنساب القبائل في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، جنب الاهتمام بنسب قريش خاصة؛ كما ظهر بين النسابين من اهتم بأخبار القبائل مع أَنسابها، فأسهموا في الدراسات التاريخية. وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (انظر ابن النديم ص ٩١ عن اهتمام الوليد بن يزيد بالأَنساب؛ والأغاني ج ١٩ ص ٥٩ عن اهتمام خالد القسري بها).

ولم تصلنا مؤلفات من الأنساب إلا من القرن الثالث، في مقدمتها "جمهرة النسب"، لهشام بن السائب الكلبى، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيرى (وقطعة من جمهرة نسب قريش وأخبارها لابن أخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ). وتبلغ الكتابة في إطار النسب أوجها عند البلاذرى (٢٧٩/٨٩٢).

وستناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة:

٢- وجمهرة النسب لابن الكلبى (٨١٩/٢٠٤) كتاب شامل في أنساب العرب (اطلعنا على مخطوطين له: الأول مخطوط المتحف البريطانى؛ فيه أنساب عرب الشمال، ونسب الأزد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز له بـ ق ١)، والثانى مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثم أنساب القبائل اليمانية؛ وعنوانه: كتاب النسب الكبير (ونرمز له بـ ق ٢).

ويبدو أن "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب، ١١٩ أ، ١٩٤ أ)، في حين أن كتاب النسب الكبير جاء عن ابن الكلبى مباشرة. كما يبدو أن ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين؛ ففي حين ترد الأزد أول القبائل اليمانية في جمهرة النسب، يبدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائل قبل أن يتناول الأزد (ق ٢ ص ٢٥١). وهذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن أثر الرواية في تناقل الكتاب.

ويرد في آخر النسب الكبير: "آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير، تأليف محمد بن السائب الكلبى" (ق ٢ ص ٥٢٨). وهذا يناقض ما جاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه؛ وهو غير دقيق بالنسبة لكتابتنا، ولكنه له دلالاته. فهل وضع الكلبى كتاباً في الأنساب؟

لقد درس الكلبى (٧٦٣/١٤٦) أنساب العرب وحاول جمع الروايات القبيلية من أنساب القبائل، ومن أفضل نُسابه في كل قبيلة، كما أفاد؛ ورجع إلى شعر

النقائض، خاصة نقائض الفرزدق. وقد أفاد ابنه هشام من دراساته وأتمها في وضع كتابه (الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠-١). ولكن لم ترد إشارة إلى كتاب له. إلا أن الإشارات في ثنايا الكتاب تشعر بأنه وضع كتاباً؛ فقد جاء: "وفي كتاب الكلبي" (ق ١ ص ٧٤٩)، و"عن كتاب محمد ابن حبيب عن الكلبي" (ق ١١٨/أ)، و"هذا ليس من كتاب الكلبي" (ق ٦٥/ب)، و"وقال أبو جعفر: هذا من غير كتاب الكلبي" (ق ٦٤/أ، ٧٠ ب)، و"عاد إلى كتاب الكلبي" (ق ٦٥/ب، ٧١ أ)، و"رجع إلى حديث الكلبي" (ق ١٤٢/٢، ١٤٤). هذا إضافة إلى إشارات مثل: "قال الكلبي" (ق ٤٨/ب) التي قد تشير إلى الأخذ من كتاب أو شفاهاً.

وهكذا يتبين أن محمد بن السائب الكلبي وضع كتاباً في النسب (ويبدو أن عنوانه: نسب معدّ واليمن الكبير)، وأن ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق ٢/ب). ومن ثنايا الكتاب (ق ٦٠/أ: "نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ، عن الكلبي"، وفي ٨٥/٢: "وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن أبيه").

وأضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من بعض الإشارات. مثلاً: "قال ابن الكلبي: حدثنا خراش قال: سمعت أشياخاً لبكر بن وائل يقولون" (ق ١٩٤/أ)، و"قال هشام بن الكلبي، قال خراش: كانوا .."، (ق ١٧٢/أ) وقال هشام بن محمد الكلبي: حدثنا أبو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانئ المرادي .." (ق ٨٥/٢ - ٦). وعند الحديث عن أم "عايز بن ثعلبة" يرد "وأمه أسماء، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقي بن القطامي يقول: هي الجذماء بنت علبة .. بن عميرة بن أسد. قال هشام: وهذا من قوله باطل لا يعرف، والقول هو الأول" (ق ١٩٥/أ). ويرد ذكر بعض من أخذ عنهم ابن الكلبي، فعند الإشارة إلى لقيط الرواية يقول ابن حبيب: "وكان صدوقاً .. وقد

لقي هشام بن الكلبي لقيطاً" (ق ١٦٣/١ ب)، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن أعصر) يرد: "كان شريفاً لقيه ابن الكلبي وكان يحدث عنه" (ق ١٨٩/١ أ). وفي ذكر مسيك المرادي يرد: "قال هشام بن محمد بن الكلبي، حدثنا أبو خباب الكلبي .. إلخ" (ق ٦/٢). ويشار إلى بعض من لقيهم ابن الكلبي، مثل عرفاء بن مصاد بن شريح: "وقد لقيه هشام بن الكلبي في زمان أبي جعفر وهو ابن تسعين سنة، وكان بدوياً" (ق ٢٠٤/١ أ، وانظر ق ٧٨/١ أ عن الشاعر أبي الشعب).

وقد ترد إشارات إلى أنساب لم يذكرها الكلبي، مثل: "ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولم يذكر الكلبي ولد تيم" (ق ٢١٥/١ أ)؛ و"هؤلاء بنو الهجيم بن عمرو بن تميم، وليس هذا عن الكلبي" (ق ٩٣/١ أ). أو ترد تعديلات؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر: "وعبدالرحمن بن أبي ليلى .. كان مولى الأنصار، فدخل فيهم ابن أحيحة، في قول الكلبي؛ وأما ولده فقالوا اسمه داود بن بلال بن أحيحة" (ق ٥٩/١ أ).

ويبدو أن محمد بن حبيب قام ببعض التدقيق أو الإضافة في روايته ونشره لجمهرة النسب، كما يتبين من بعض الملاحظات مثل: "قال أبو جعفر: هذا من غير كتاب الكلبي، كتبتّه من بعض ولد عطار" (ق ٦٤/١ أ)، ومثل: "وكان في أصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولم يكن فيه بدر وعتبه، وبدر من كتاب ابن الأعرابي (٨٤٦/٢٣١)" (ق ٤٧/١ ب). وتتكرر الإشارات لأخذه من كتاب ابن الأعرابي؛ "وفي كتاب ابن الأعرابي محتلم بن حنابة مكان ليث" (ق ٩٠/١ أ، وانظر ٤٩ ب، ٤٨ ب، ٤٧ ب)، ومثل قوله: "وهو أبو عبدالله بن عنمة. قال ابن الأعرابي قتمة، وقال الكلبي قتمة" (ق ١١٣/١ ب).

وينسب الكلبان إلى التشيع؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك إلا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ٧٠/١ أ، ٦٧ أ، ٨٠ أ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ أ)، وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي، والحسين، وفي حركة المختار. ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة.

٣- ولجمهرة النسب أهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية إلى أيام المأمون (ق ٢٠٣/١ ب- ٢٠٤ أ)، مع تعليق موجز أو إشارة مركزة تبيّن دور مَنْ ظهر في الحقول المختلفة - من كان شريفاً أو سيداً في قومه، ومن برز في يوم من أيام العرب، ومن كان فارساً، ومن وفد على النبي (ص) أو صحبه، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص)، خاصة بدر وأحد، ومن استشهد في الردّة؛ كما ذكر بعض من قُتل في أيام العرب الكبرى في الإسلام، كالفادسية واليرموك والجمل وصفين.

ويُعنى المؤلف بصورة خاصة بالإشارة إلى من تولّى مناصب مسؤولة: من أمراء وعمّال، وقادة، وأصحاب شرط، وقضاة. وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل. وبالإضافة فهو ينوّه بمن تميّز في مجالات أخرى، مثل الخوارج، ونقباء الدعوة العباسية؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة، كالفقه والنحو والأنساب. وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات أو المعلومات التي لا تُرد عند غيره.

ولعلّ أمثلة من الإشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة أخباره. فمن أخبار الجاهلية - أمثلة: "منهم سعد بن خسفان بن ظالم، كان سيد بني سعد في زمانه .. وكان جاهلياً" (ق ٨٤/١ أ- ب). هوذة بن علي بن تمامة (من بني سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران، فأعطاه كسرى قلنسية قيمتها (٣٠،٠٠٠) درهم" (ق ٣٥/٢). "ومنهم (الأزد) السموأل بن حيا بن عادي بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب؛ كان من أوفى العرب، وهو صاحب تيماء،

وولده بها إلى اليوم" (ق ٢٤٨/١ أ). "وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح؛ كان على بكر بن وائل يوم أواره، يوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن ماء السماء (ق ١٩٦/١ أ).

ومن الفترات الإسلامية - أمثلة: "أبو رحم؛ وهو كلثوم بن الحظين بن عتبة ابن خلف .. استخلفه رسول الله في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة" (ق ٤٩/١ أ).

"وشرحبيل بن السمط بن الأسود .. شهد القادسية؛ جاهلي إسلامي، وولي حمص؛ وهو الذي قسمها منازل حين افتتحها" (ق ٩١/٢ أ). "فمن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهرا" (ق ٢٠٠/١ أ). "فمن بني بهدلة عوف بن حصين؛ وهو الزبرقان بن بدر .. الذي أدى الصدقة إلى أبي بكر في الردة" (ق ٨٩/١ أ).

"إن سليمان بن كندير وولاه عثمان نجران (من قشير بن كعب)" (ق ١٣٦/١ أ) "منهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوان .. الذي فتح البصرة، وكانت يومئذ البصرة (كذا)، وهو الذي بصر البصرة" (ق ١٥٧/١ أ).

"ومن بني عمرو بن امرئ القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي؛ وهو الوليد بن القطامي .. النسابة؛ كان في صحابة المنصور والمهدي" (ق ٤٣٧/٢) وانظر (ق ١٦٣/١).

"لقيط الرواية وكان صدوقاً". "منهم سعيد بن الخنس بن عمارة .. وكان فقيهاً بالكوفة" (ق ٨٣/١ أ). انظر (ق ٢٠٠/٢، ٢٠١، ق ١٠٨/١ ب).

"علي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهرون الرشيد على الشرقية، وكان ولّاه الخاتم مع محمد بن هرون، وولّاه قضاء القضاة" (ق ١٧٠/أ).

"عبدالله بن الطفيلي بن ثور، شهد مع علي مشاهده .. وهو جد البكائي صاحب المغازي" (ق ١٤٢/ب).

"لاهب بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن؛ قتله أبو مسلم لقوله لنصر بن سيار: إن الملاء يأترون بك" (ق ٨٥/١ ب). وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب، و ٨٥ ب. عن موسى بن كعب النقيب).

"أبو بلال مرداس، وأخوه عمرو، ابنا مدبر بن عمرو .. وأمهما أديّة؛ وهما الخارجيان" (ق ٧٦/١ ب وانظر ق ٣٤١/٢). "راسب بطن منهم عبدالله بن وهب الخارجي، قُتل يوم النهر". إشارات أخرى (ق ١٩٨/١ ب، ١٩٩ ب، ٢٣٠ ب، ٧٨ ب-٨٠ أ).

"من ولده (مخنف بن سليم الأزدي) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية" (ق ٣٢٤/٢).

"شرحبيل بن معدي كرب .. وفد إلى النبي (ص) وكان في ألفين وخمسمئة (من العطاء)" (ق ٩٠/٢) وانظر ٩١، ٩٢، ١٠٠، وانظر ق ٨٣/١ أ عن حجر بن عدي "وكان في ٢٥٠٠".

ويشير إلى الشعراء (انظر ق ٢٠٨/١ أ - ب، ٢٠٩ أ، ٢١١ أ - ب)، ويورد مقتطفات من شعرهم (انظر ق ١٣٨/١ أ، ١٥٣ أ)، هي في العادة بين بيت وثلاثة أبيات، وقد تصل إلى خمسة أو ستة أبيات.

ويشير ابن الكلبي إلى عدد كبير من أيام العرب في معرض حديثه عن شريف أو فارس؛ مثل قوله: "فمن بني عمرو بن ربيعة هانئ بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار" (ق ١٩٧/١ أ). و"منهم عبّاد بن مسعود بن عامر، الذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف" (ق ١٩٦/١ أ-ب). و"ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خرار" (ق ٢٢٨/١ أ). أو ترد الإشارة بمناسبة قتل شريف، مثل: "ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلم الغساني يوم جبل فيد" (ق ١٧٢/١ ب)، أو لحادث ذي صلة مثل: "ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول له عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النناء .." (ق ١٨٦/١ أ).

ومن الأيام التي يشير إليها يوم أوراة (ق ١٩٦/١ ب)، ويوم الجلاة (ق ١٨٨/١ أ-ب)، ويوم جبلة (ق ١٧٨/١ ب - ١٢١ أ)، ويوم الذنايب (ق ٢٢٦/١ ب)، ويوم الكلاب (ق ١٣٠/١ ب، ٢٢٧ ب، ق ١٨١/٢)، ويوم قصة (ق ٢٠٧/١ ب)، ويوم اللصاف (ق ١٩٧/١ أ-ب)، ويوم التحالق (ق ١٩٦/١ أ)، ويوم النجير (ق ١٠٤/٢)، ويوم الأجر (ق ١٥٥/٢) ويوم صفاق (ق ١٨٥/٢)، ويوم فيف الريح (ق ١٨٨/٢)، ويوم الآخرين (ق ١٩٠/٢)، ويوم الزرم (ق ١٩٠/٢)، ويوم بعث (ق ٢٦١/٢)، ويوم عين التمر (ق ٦٢/٢)، ويوم النفار (ق ١٦٣/٢)، ويوم الكلاب الثاني (ق ٩٨/١ أ)، ويوم القرينتين (ق ١٢٤/١ أ)، ويوم الحاجر (ق ١٣٣/١ أ) ويوم الرقم (ق ١٢٢/١ ب)، ويوم النحيل (ق ٢٣٠/١ ب)، ويوم المذيّار (ق ١٣١/١ أ) ويوم ذي علق (ق ١٢٢/١ ب - ١٢٣ أ).

ويتناول الكثير من شؤون القبائل، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة أخرى، وبذلك يعدل من النظرة بأن النسب لأب واحد، سواء أكان هذا الدخول لأسباب قبلية أو معاشية أو سياسية. فعند الحديث عن نسب

إياد بن نزار يقول: "ولد زهير بن إياد حذاقة والنشل دخل في تنوخ، وعبدالله دخل في بني تميم، وعمرا دخل في بني الصم" (ق ٢٤٢/١ ب). ويذكر عن ولد ربيعة ابن نزار: "وأكلب دخل في خثعم، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر، .. وعابسة وهم باليمن". ثم يقول: "وأماضنة فإنهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن قضاة" (ق ٥/٢). وعند الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول: "ومنهم بيهس وإخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج" (ق ١٧٦/١ أ). وعند الحديث عن جذام يقول: "قولد أسلم بن مالك عنب، وهم اليوم في بني شيبان" (ق ١٣٣/٢). وعند ذكر سعد العشيرة يقول: "ولد زيد الله بن سعد العشيرة، عامر وأشرس والديل وعوف، فدخل أشرس والديل وعوف في بني تغلب، وأقام عامر بن زيد الله على نسبه، فمنه تفرقت زيدان" (ق ٢١٦/٢٢). وعند الحديث عن قبائل الأزدي يقول: "قولد بكر بن يشكر عامر .. وسعد وعوف والحارث .. دخلوا في بني زبيد" (ق ٣٣٧/٢) وانظر ق ٨٣/١ أ. وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١١٩/١ ب، وعن بني عمرو بن جندود، من حضرموت، في تميم. انظر ق ٨٨/١ أ، وانظر ق ٨٧/١ ب).

وإذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لأسباب سياسية أو اجتماعية، فإنها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الأنساب.

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن أسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها، وبعضها له أهمية خاصة. ففي أسماء القبائل يذكر مثلاً سبب تسمية أعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١٦٥/١ أ - ب)، ويوضح ظروف تسمية أبناء تميم (زيد، مناة، عمرو، الحارث) (ق ٩٥/١ أ)، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم وما يشملها (ق ٩٦/١ ب - ٩٧ أ).

وهو يركز معلوماته أحياناً، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبدالله ابن دارم، يرجع نسب الأسرة في تدرج متسلسل، مع وصف كل خطوة، حتى ينتهي إلى مضر (ق ١٩٥/١ أ - ٩٦ ب).

ويشير إلى بعض الأعراف القبلية، فيتحدث عن نوع من القسم؛ قال خراش: "كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار، وبذات الودع، يريدون سفينة نوح" (ق ١٧٢/١ أ). وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد أخيه معاوية يضيف: "فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الإبل، وإنما جعلها مئة لعظم الإبل عندهم ليتأهوا عن الدمار، فهي أول دية كانت في العرب مئة من الإبل حكم عامر بن الظرب حكماً جارياً" (ق ١٢٠/١ أ). وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول: "وهو الذي بحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيعة، وحمى الحامي، وغير دين إسماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان"، "وكان صاحب الكعبة" (ق ١٩٥/٢، ١٩٩)؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معدي كرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه "صاحب مرباع بني هند"، ويضيف: "والرباع أن يأخذ الربع من الغنيمة، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع" (ق ١٠٦/٢).

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة، فيتناول مثلاً المغنريات من بني هاشم، أو اللواتي تزوجن في قبائل أخرى، مثل الأنصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب، من حمير والقين وسليم ولخم وفزارة؛ وهو استطراد يبين سعة الروابط القبلية لقريش، ويؤكد ما قيل في السقيفة من أن قريشاً أوسط العرب أنساباً (ق ١١٥/١ ب وما بعدها). ويذكر أن قيساً (من ولد منبه بن بكر بن هوازن) وهو ثقيف كان "أول من جمع بن أختين من العرب" (ق ١٥٣/٢).

ويقدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الجزيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، أخ اكيدر (في دومة من كلب) إذ يقول: "وهو الذي علّمه أهل الأنبار خطأً، هذا الذي يسمى الجزم، وهو كتاب العربية، وكان أول من كتبه قوم من طي بيقة، فعلموه أهل الأنبار، فعلم أهل الأنبار أهل الحيرة". وكان بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بها الدهر، فتعلمه بشر بن عبد الملك. ثم شخص إلى مكة في تجارة فعلمه أبا سفيان بن حرب بن أمية - وأبا قيس بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية، ثم أتى الطائف فعلمه غيلان بن سلمة الثقفي، ثم بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب، ثم أتى الشام فعلمهم" (ق ١٢٦/٢).

ويورد ابن الكلبي أحياناً معلومات عن مواطن القبائل؛ فعند ذكر بني أسود ابن مالك (بطن من بني مالك بن ثعلبة) يقول إنهم "أصحاب النخل باليمامة الذي يصرم في السنة مرتين، دعا لهم النبي (ص)" (ق ٢٢٥/١ أ). كما يورد إشارات إلى انتقال القبائل إلى الأمصار؛ فعند الحديث عن عشائر الأزدي يقول: "وأل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال لها عين حرما" (ق ٣٤٢/٢). ومكنته معرفته بالكوفة من تعداد الكثير من العشائر والبطون التي أقامت بها ولها مسجد، وقائمتهم مهمة وغنية. ومن هذه: ذهل بن معاوية (من كندة) لهم مسجد (ق ٨٨/٢)، وامروء القيس بن الحارث (بطن من كندة) (ق ٨٩/٢)، ومالك بن الحارث، والطمح بن الحارث (ق ٨٩/٢) وامروء القيس بن معاوية بن عدي (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطن) (ق ٨٩/٢ - ٩٠)، وجبله بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن عدي (ق ٩٠/٢)، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٩٢/٢ كندة)، وعمرو ابن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن)، وأبو الخير وهب (بطن) (ق ٨٥/٢ كندة)، والأرقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٩٦/٢ كندة)، وشجرة

(بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٩٨/٢). ومن البطون الأخرى التي لها مساجد: سلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمر بن أبي كرب (ق ١٠٣/٢)، وبهدلة (بطن) من ولد المنل بن معاوية (ق ١٠٣/٢). وفي الحديث عن النخع بن عمرو يشير إلى بطني جذيمة وحارثة، ولكل مسجد بالكوفة (ق ١٩٤/٢). ويذكر بني مسلية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٩٣/٢)، ويذكر من بجيلة قيس وأوس وعود، لهم بالكوفة مسجد، وعدادهم في قيس (ق ٢٤٦/٢). ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زيان "بطن بالجزيرة"، ويضيف: "وبالكوفة أهل بيت وملك وهو تراغم بطن، وبرعم بطن، لهم بالكوفة مسجد" (ق ١٢٨/٢ - ٩). وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة.

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبأ في خروجها، ويضع خبره في إطار حديث ينسب للرسول، فيذكر أن سبأ ولد عشرة، فتشام أربعة، وتيامن ستة؛ فالذين تشاموا: غسان ولخم وجذام وعاملة، والذين تيامنوا: حمير والأزد ومذحج وكندة والأشعر وأنمار، الذين منهم بجيلة وخنثعم (ق ٨٥/٢ - ٦)، وانظر ق ٩٧/٢، ٩٨، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية.

وختاماً يمكن القول إن ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الأسماء، ويورد أحياناً ملاحظات أوفى؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول المختلفة.

هذه الملاحظات واسعة نسبياً لإعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب، ولأن الكتاب لم ينشر، ولا بد من التنويه بجهود كاسكل، في تحويل الكتاب إلى جداول، وفي مقدمته المسهبة.

(W. Caskel – Gamharat An – Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al – Kalbi; 2 vols. Leiden 1966).

٤ - ومن الأوائل في دراسة الأنساب مصعب الزبيري (٢٣٣-٦/٨٤٧-٥٠) وهو من آل عبدالله بن الزبير، وكان عالماً بالأنساب. ولم يصلنا من كتابيه "النسب الكبير" و"نسب قريش" إلا الثاني. وتدل استشهادات المؤرخين، كالطبري والبلاذري وأبي الفرج الأصفهاني، على أهمية هذا الكتاب؛ وهو أفضل ما وصل إلينا من نسب قريش.

وتشعر خطة الكتاب بوجود إطار مستقر للنسب، اتبعه معاصره ابن الكلبي ومن جاء بعده. ويبدو أن مصادره واسعة؛ فقد افتتح كتابه بالأخذ من الزهري، "قال محمد بن شهاب الزهري" (ص ٣). وأخذ من مؤلفات تاريخية، مثل قوله: "قال الواقدي .. في بعض أسناده" (ص ٢١٩)، أو "ذكر موسى بن عقبة عن أبي حبيبة" (ص ١٠٣). ورجع إلى أهل النسب كما يبدو من قوله: "وأجمع أهل النسب لاختلاف بينهم"، أو "قال بعضهم" (ص ٤). وأفاد كثيراً من روايات في النسب والأخبار، شفوية ومكتوبة كقوله: "سمعت أبي، عبدالله بن مصعب، يقول" (ص ٢٩٦) و"حدثني حماد بن عذيل بن فضالة بن رواد الليثي، وكان حماد قد بلغ مئة سنة وسنتين (ص ٢٤١ مشيراً إلى سنّه ليؤكد اتصال الخبر)؛ وقوله: "وأخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن نوفل بن عمارة" (ص ٣٣٩)، و"حدثني عبدالله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره" (١٠٩)، و"أخبرنا سليمان بن عيَّاش السعدي قال" (ص ٢٢٩). وأخذ عن أبي الزناد، مثل: "قال أبو الزناد" و"ذكر أبو الزناد" (ص ١٠٢، ١٠٣).

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة، مثل قوله: "وحدثني بعض من يعلم" (ص ٣١٤)، و"وأخبرت عن هشام بن يوسف الصنعاني عن معمر" (ص ٢٣٩)، و"أخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة" (ص ٢٣٩)، و"وذكر أن أبا موسى الأشعري ذكر" (ص ١٠٢). ويأخذ عن جماعة كقوله: "قالوا" (ص ٨١) على طريقة الإسناد الجمعي. وكل ذلك يدل على جهده الواسع في دراساته وفي جمع أخباره. ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري أن يتوسع في ذكر المصادر، مع وجود دراسات قبله، مثل دراسات الزهري وأبي اليقظان، ومع وجود نسابين، بالإضافة إلى ديوان الجند.

ولا بد من ملاحظة أولية هي أن مصعب الزبيري أغنى كتابه بمجموعة طيبة من الأخبار والشعر، فتجاوز خطة الملاحظات المركزة التي أخذ بها ابن الكلبي.

٥- يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الأنساب، يذكر النسب الصحيح وما اتجهت إليه بعض القبائل؛ ولعل التمثيل مفيد هنا: فيذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن أد، ويضيف: "فكل من بالمشرق من عك ينتسبون إلى الأزد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون إلى عدنان بن أد" (ص ٥).

ويبين أن من ولد معدّ بن عدنان قضاة (ونزار)، ويضيف: "وقد انتسبت قضاة إلى حمير، فقالوا: قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ .. وزوروا في ذلك شعراً". ويستطرد إلى تأكيد ذلك بقوله: "وأشعار قضاة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على أن نسبتهم في معدّ" (ص ٥). ويورد ملاحظة عامة عن ربيعة ومضر ويقول: "وكان يقال ربيعة ومضر الصريحان من ولد إسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع، ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار"

(ص ٦). ويذكر أن بجيلة من أنمار بن نزار، وأنهم "انتسبوا إلى اليمن، إلا من كان منهم بالشام والمغرب فإنهم على نسبهم إلى أنمار بن نزار" (ص ٧). وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول: "وقد انتسبوا في الأزدي، ومنهم خثعم، وهو أقبل بن أنمار بن نزار .. وهم بالسراة على نسبهم إلى أنمار بن نزار؛ وإذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين حضرموت، كانت خثعم مع اليمن على مضر" (ص ٧). ويتبين من هذه الإشارات انتساب قبائل من عدنان إلى اليمن، ومما يُشعر بتحركها جنوباً قبل الإسلام؛ فالإشارات إليها في الفتوح وبعدها تعتبرها يمانية. وقد كان مألوفاً في اليمن دخول عشائر أو مجموعات في أنساب غيرها، لضرورات زراعية أو سياسية.

ولعل أهم ما في نسب قريش أنه يجمع بين الأنساب والأخبار التاريخية والأدبية؛ فهو يورد معلومات وأخباراً عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي إلى زمن الرشيد، وأحياناً المأمون (ص ٢٢٨، ٢٧٢)، أي إلى عصره.

وأخباره أحياناً وافية ومهمة؛ وقد يتوسع فيها إلى ما يقرب من ترجمة شاملة، مثل أخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ - ٧)، وعن عبدالله بن جدعان (٢٩١ - ٧)، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ - ٣٤١)، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ - ١)، وعن عبدالله بن عامر (ص ١٠٧ - ٩).

ويأتي أحياناً بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ - ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكها في أحداث هامة؛ وهي أقرب إلى روايات كتب الأدب، ولكنها على سعتها لا ترقى إلى ترجمة (مثلاً حركة زيد بن علي ص ٦٠ - ١). وقد يكتفى المؤلف بمجرد إشارة موجزة أو طويلة إلى حدث (انظر ص ٢٢٠ - ١، ص ٢٤٦، ص ٢٢٢).

وهو يلتفت في أخباره إلى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد والكرم (انظر مثلاً ص ٣٣٨ وما بعدها، ص ١٢٧، ص ١٤٧-٩). ويتحدث عن أخبار بعض القضاة (مثلاً ص ١٢٨، ٢٣٤، ٢٧٢)؛ ويشيد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض أخبارهم (مثلاً محمد بن عمران أيام المنصور ص ٢٨٤-٥).

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمصاهرات والعلاقات الاجتماعية؛ ويشعر بأهمية المرأة ودورها (انظر مثلاً ص ٣١٣-٣١٤)، كما يعطي أخباراً وافية عن بعض السيدات؛ ولهذا دلالاته (مثلاً صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠، وأميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢-٣).

ويتميز الزبيري، إضافة إلى أمانته، بأنه يعطي أحياناً أخباراً لها أهمية خاصة، وقد ينفرد ببعضها؛ ففي الإشارة إلى وجز بن غالب يذكر أنه "أول من عبد الشعري"، وأنه كان سيداً في خزاعة؛ ويضيف: "ووجز هو أبو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) إليه؛ والعرب تظن أن أحداً لا يعمل شيئاً إلا بعزق ينزعه شبيهه؛ فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش: نزعه أبو كبشة، لأن أبا كبشة خالف الناس في عبادة الشعري..". (ص ٢٥١-٢).

ولعله أدق من يكشف النظرة الداخلية لمروان للسفانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان، إذ قال له: "ما أخذ هؤلاء - يعني بني حرب بن أمية - الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك، فنحن أكثر منهم رجالاً...". وعداد رجالهم ثم أضاف: "ومنا فلان وهو فضل، وفلان فضل، فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب". ثم يورد ردّ معاوية على مروان، وفيه: "أشهد يا مروان أنني سمعت رسول الله (ص)

يقول: إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً. والسلام". وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩-١١٠).

ولعل من أطرف ما أورده دور العرفاء أيام معاوية في المدينة، في بدء ولاية عاصم بن أبي هاشم بن عتبة. يقول: "وكان العطاء يدفع إلى العرفاء، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ أعطيتهم ويدفعها إليهم. فحبس عاصم أعطية الناس وقال: يأتيني أهلها فأدفع إلى كل رجل عطاءه في يده. وكانت العرفاء يأخذونها، فلا يغيبون غائباً، ولا يميئون ميثاً، ويصدقون أهلها فيعطونهم بعضاً ويأخذون بعضاً؛ فأراد عاصم أن يصلح الديوان فلا يعطون غائباً ولا ميثاً، ويأتيه أهل العطاء فيدفع إليهم أعطيتهم وقد عرفهم؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب، وامتنعوا من إتيانه..". (ص ١٥٤). وهو نص يدل على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على أكثر مما يحق لهم، كما يبين وظيفة العرفاء وأهميتهم.

ويكثر في الكتاب إيراد المقطوعات الشعرية والقصائد، التي قيلت في مناسبات، أو تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلاً ص ٢١٦-٧، ٢٣٢-٣، ٣١٤-٥، ٣٢٤-٧).

٦- أما أنساب الأشراف للبلاذري، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الإسلامي، ومجموعة كبيرة من التراجم في إطار خطة النسب.

ويبدو أن تنظيم خطة الأنساب لديه ولدى من سبقه يتمشى مع تنظيم ديوان المقاتلة، ابتداءً بالرسول، ثم الأقرب فالأقرب. فهو يبدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠-٢٧٨) بعد أن يمهد لها بمقدمة في أنساب العرب ليصلها بأجداد الرسول،

وبتاريخ قريش قبل الإسلام (ق ١ ص ١ - ٤٠)، يليها أبو طالب وأولاده (العلويون) (٢٩٠ - ٥٢٦)، والعباس بن عبد المطلب وأولاده (العباسيون) (٥٢٦ - ٦٧١)، وأمّية بن عبد شمس (الأمويون) (٦٩٠ - ١١٩٦، و ق ٢ - ١ - ٤١٥)، وبقية قريش (ق ٢ - ٤١٥ - ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ - ١٢٦٨). وهكذا خصص للسيرة حوالي $\frac{1}{10}$ من الكتاب، ومثل ذلك للعلويين، وخصّص للأمويين حوالي $\frac{1}{3}$ الكتاب، وللعباسيين حوالي $\frac{1}{16}$ منه، ولبقية مضر أقلّ من ربعه.

لقد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، إلا القليل منها، (مثل كلاب، هلال، قشير) ولم يتناول ربيعة واليمن؛ وإن وجد ما يدل على أن دراسته تجاوزت ما في الكتاب، إلا أنه توفي قبل أن يتم كتابه (حاجي خليفة ١/٢٧٤). وفي تاج العروس إشارات إليه تتعلق باليمن).

تناول البلاذري العباسيين بتوسع إلى أيام المنصور، وأوجز في أخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ - ٦٧١)؛ وهذا يسترعي الانتباه إذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين من أيام المأمون إلى أيام المعتمد (ت ٢٧٩هـ)، وصلته بالخلفاء العباسيين من المتوكل (٢٤٧هـ) إلى المعتز (ت ٢٥٥هـ). فهل التزم البلاذري بالتوقف عند حدود المعاصرة؟ إن شيخه المدائني تناول التاريخ العربي إلى أيام المعتصم، وإن بعض معاصريه، كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧هـ) والطبري، تناولوا هذا التاريخ إلى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥هـ). أم أن البلاذري سار على هيكل أهل النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي؟ لقد بدأ تقليص العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين؛ ولكن هذا لم يحصل جدياً إلا أيام المأمون، ثم جاء المعتصم فأسقط

العرب من الديوان. وهذا يعني أن تسجيل المقاتلة العرب انتهى في مطلع فترة المعتم، مما يجعل التوقف في إطار الأنساب طبيعياً في الهيكل والتدرج. وتبدو ميزة أنساب الأشراف في أنه قدم تاريخاً للأشراف العرب في مختلف الحقول، مع تاريخ الخلافة؛ وهو نسق فريد في سعة أفقه وشموله.

٧- وقد أفاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة - من أساليب كتب الطبقات، وكتب الأخباريين، إضافة لكتب الأنساب. ولئن كان هيكله هو إطار الأنساب، فإن عناوينه الفرعية للأحداث الهامة في فترة كل خليفة، تذكر بعناوين كتب الأخباريين، في حين أن تناوله للسيرة ولترجمات الأشراف متأثر بخط التراجم والطبقات. ويلاحظ بين أسانئته المدائني (٨٣٩/٢٢٥) شيخ الأخباريين، وابن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحب الطبقات، ومصعب الزبيري وابن الكلبي.

أفاد البلاذري من كتب الأخباريين، خاصة أبي مخنف (برواية ابن الكلبي أو مباشرة من كتبه) وعوانة بن الحكم، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الأول عن الخلفاء (بالأخذ عنه مباشرة أو بالنقل من كتبه). ومن دراسات أصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن إسحاق والواقدي وكتبه محمد بن سعد، كما أفاد من أهل الأنساب، خاصة أبي اليقظان ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، ومصعب الزبيري.

وأضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالأخذ من شيوخه ومن روايات شفوية أخرى، وأفاد من أسفاره في جمع روايات محلية موثقة من أشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والمدينة، إضافة للمدن العراقية.

والبلاذري يدقق مصادره، ويفاضل بين الروايات، ويبيدي رأيه أحياناً لتوثيق رواية. وقد يورد صوراً لرواية بأسانيد مختلفة لإظهار مجال الخلاف، ولكنه كثيراً ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبراً متصلاً. ويبدو أن النظرة إلى المؤرخين السابقين (من إخباريين، وأصحاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسابين) استقرت في عصره ومكنته من ذلك. وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في أسلوبه التاريخي؛ فبينما يعتمد الطبري أساساً أحد مصادره في صدر الإسلام (كابن إسحق في السيرة، أو أبي مخنف في الثورات العلوية)، ثم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكتملة أو مباينة، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي أخباراً يبدأها بـ(قالوا)، ثم يورد روايات مفردة ليتم أخباره، وهو أسلوب بالغ الأهمية في فهم البلاذري. وفي حين يركّز الطبري على المدرسة العراقية في أخباره، يبدو البلاذري أكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في أحداث الفتوح والأحداث التي تتصل بتاريخ الأمة في الفترات الأولى؛ كما أنه يعطي أهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّها بروايات أخرى خارجية.

ويدقق البلاذري في إيراد التواريخ والأرقام، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، إلا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير (مثلاً معاوية قبل عثمان، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة). وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من أحداث، كما يعنى بفعاليات الأحزاب السياسية، وخاصة الخوارج؛ وهو أفضل المصادر عنهم وأوفاهها في صدر الإسلام.

إن ثقافة البلاذري، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبه الشعرية، تشير إلى أنه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية، وبالتقافات الأجنبية؛ هذا مع تركيزه على أحوال العرب ودورهم التاريخي في الإسلام؛ وهو لذلك يبدي اهتماماً بالنواحي الاجتماعية والثقافية والأدبية في أخباره، ويتوسّع فيما يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى إيراد القصائد المطولة.

وليس هذا مجال تحليل كتابه الضخم، بل يكفي إيراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفاء).

٨- إن ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون أن أنساب الأشراف تاريخاً للأشراف العرب في تراجمهم، كلّ في موقع نسبه؛ وهو بذلك يعبر عن اتصال هذا التاريخ، ويرى في الأشراف مركز الأهمية من هذا التاريخ، ويعبر عن النظرة الاجتماعية لهم عند العرب. وهو في تراجمه وما يقدّمه من أخبار وأثار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم الوطنية الكبرى الحديثة). وبعض تراجمه واسعة تسترعي الانتباه، مثل ترجمته للأحنف ابن قيس (ق ٢ ص ٩٩٤ - ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ - ١٢٥٨ إضافة لأخباره أيام عبدالملك والوليد)، وبعض الفصحاء والشعراء، مثل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٣ - ٦) وأكثم بن صيفي (ص ١٠٧٣ - ١٠٨٣) والفرزدق (ص ٨٧٦ - ٨٩٥) وجريير (ص ٩٤٧ - ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ - ٩٩١). وقد يفيض في الترجمة أكثر من المعنّيين بحقل الاختصاص، كما في ترجمته لأبي الأسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ - ١٣). وهو بذلك يكشف جانباً من اهتماماته الأدبية.

وفي أنساب الأشراف ثروة من الأخبار عن المسلمين الأولين، فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الإسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، وأخباره الخاصة؛ وهي ترجمات مسهبة عادة، وتختلف أهمية كل منها حسب دور المترجم له.

ويُعنى البلاذري بأمور القبائل في إطارها لنسبها، فيقدم معلومات واسعة عن قريش قبل الإسلام وبعده، بتفاصيل لا تُرد عند مؤرخ آخر؛ وينبّه إلى أمور طريفة (مثلاً في حديثه عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: "قيل ما ساد قريش مُمَلِّق غير عتبة وأبي طالب" (ق ٢ ص ٤٠٧)، وانظر أخباره عن محاولة عثمان بن الحويرث أن يتراًس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨)، ومثل إشاراتهِ للإيلاف (ج ١ ص ٥٩ - ٦٠).

ويهتم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ - ٦، ٩٠٣ - ٤)، ويوم غيط المدرة أو صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويوم قحح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ - ٩٣٠)، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ - ٩). وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ - ٥)، ويوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ - ١)، ويوم بزاحة (ق ٢ ص ٨٣١ - ٢) ويوم النصار ويوم الجفار (ق ٢ ص ٧٣٨)، وأيام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ - ٢)، ويوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ - ٣) و ق ١ ص ٧٠٠)، ويوم الحريرة أول أيام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩)، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويوم الشيطان (ق ٢ ص ٨٤٥) ويوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ - ٣، ٨٥٧) ويوم أواره (ق ٢ ص ٨٦٦ - ٧) ويوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويوم الكلاب الأول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ - ٢، ١٠٢٣). هذا، وترد إشارات أكثر إيجازاً لأيام أخرى (مثل يوم خو (ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٣)

ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويوم سلمان (ق ٢ ص ٨٧٣).

وهو يورد مقتطفات في مواضع عدة من نقائض جرير والفرزدق (انظر ق ٢ ص ٩٣٤، ٩٤٠). ويلاحظ أن البلاذري حاول الإفادة من أكثر من مصدر في أخبار الأيام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفق أسلوبه، ولكن يبدو أن جلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبى وابنه هشام (ق ٢ ص ٩٤١، ٨٦٧)، وهو قليل الإشارة إلى أبي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١). وقد يأخذ عن رواية من البدو (مثل مراش ابن إسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) أو يكتفي بإشارة عابرة (مثل: قال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤). وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكرة عن الأيام توازي روايات محمد ابن حبيب (عن أبي عبيدة)، ولهذا أهمية خاصة.

ويتحدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الإسلام، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بني ثعلبة بن يربوع على بني أسد (ق ٢ ص ٧٣٥ - ٦، وانظر ٩٣٠ - ٢)، إلى أحلاف (مثل حلف قريش مع الأحابيش وظروفه - ق ٢ ص ٧٢٢، ٧٢٨)، أو محاولات ثار مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يد بني أسد، ومحاولات امرئ القيس للثار - ق ٢ ص ٧٤٠ - ١)، أو شؤون أخرى مثل الاتفاق على جعل ولاية الموسم والإفاضة بالناس إلى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ - ٢)، بل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة، ومعناها، ومهمة الردف، وامتيازاته (ق ٢ ص ٩١٧ - ٨).

ويورد البلاذري معلومات بالغة الأهمية عن الحياة الاقتصادية خلال القرنين الأولين (انظر مثلاً ق ٢ ص ٧٥٣، ٩٨٨، ١٠٠٧) بما في ذلك أثر الجفاف في البادية على مياه بعض القبائل وحركتها، كما يقدم معلومات ثمينة عن نظرة

العرب للأرض، وعن تحول الأشراف إلى ارستقراطية ملاكة؛ وهو في طبيعة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان.

كما أنه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦، ٧٥٠). وأخبره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة إلى الأمصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وإن قاربها الطبري أحياناً في السعة).

٩- ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل إلى أبي اليقظان (١٩٠/٨٠٥) لدرجة كبيرة، ويأخذ عنه عادة بعبارة: قال أبو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١، ٢) أو "وفي رواية أبي اليقظان" (ق ٢ ص ٨٩٥)، وبذلك يؤكد الإشارات إلى أهميته ودوره في النسب.

كما أنه يأخذ كثيراً عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) أو بالأخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥، ١٠١، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتماداً واسعاً في أخباره عن قريش قبل الإسلام. ويأخذ عن أبيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام، أو بالأخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الأنساب؛ وهو يأخذ عنه أحياناً دون إشارة واضحة، مثل تعقيبه: وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبيد تفضيله له حين يقول: "وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي أثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧).

وإذا كان البلاذري في فترة قبل الإسلام يعتمد على روايات فردية، فإنه في الفترات الإسلامية يستند في الأساس في أخباره على مصادر متعددة، فيبدأها ب(قالوا)، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها). ونكتفي بالتمثيل من السيرة. ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن إسحق، فإن البلاذري يعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي وتلميذه محمد بن سعد، إضافة إلى رجوعه

إلى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية، وعروة بن الزبير - حوالي ٤٠ رواية)، أما ابن إسحق فيرجع إليه بقدر متواضع - ٤٣ رواية). وكمثل لذلك ننظر إلى أخباره عن بدر لنرى أن صلب معلوماته يرد تحت: "قالوا" (٢٨٨-٩٠، ٢٩١-٢، ٣٠٤-٥). ويجانب ذلك ترد أخباره عن الواقدي (٢٩٤-٨، ٢٩٨-٣٠٢، ٣٠٥-٣٠٨) ويأخذ الأخبار عن ابن سعد مباشرة، كما أن جلّ أخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد، وبعضها بالنقل من كتبه: "قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها، ص ٢٩٨، ٣٠٥ وبعدها" وهو يتم هذا بروايات فردية مسندة عن محدثي المدينة ورواتها.

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم "الأشراف"؛ فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء، ولا على من ينتسب إلى أشراف القبائل، كما أنه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل إلا جزءاً من العرب في الأمصار، من أيام المروانيين، بل إنه شمل هؤلاء جميعاً، وانتبه بصورة خاصة إلى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والإدارية والفكرية (الشعراء خاصة).

وهو على صلته بالعباسيين يحاول أن يكون موضوعياً؛ ولعلّ صلته هذه أفادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية، وعن الفترة الأولى، وفي الإفادة من الدواوين. وهو على العموم محايد متزن. وهو في الأنساب يعبر عن نظرة اجتماعية عربية إلى دور الأشراف العرب في تاريخ الأمة، كما يعبر عن اتصال خبراتها وسيرها.

د. عبدالعزيز الدوري